صورة القاعدة في مخابر واشنطن بعد عام من أحداث 11 سبتمبر

11-9-2002

في حين ظل الشغل الشاغل والهاجس الحقيقي بالنسبة لأجهزة المخابرات الأمريكية، يتركز حول حجم الإنجاز الذي حققته خلال الأشهر الماضية، ومدى فعاليته، وماذا يعني أو ما هي تبعاته في المستقبل؟. وكما ذُكر آنفا، فإن أحد أبرز جوانب الحرب ضد "الإرهاب" هو تفادي هجوم آخر على التراب الأمريكي (أو هكذا توهم الإدارة الأمريكية غيرها)، فهل تمكنت الاستخبارات من نقل التهديدات إلى خارج الأراضي الأمريكية وإبعاد شبح الضربات من ضفاف الولايات المتحدة، خاصة وأن أبرز وقود الحرب الحالية هو العنصر المخابراتي؟، ولا يمكن الجزم بهذا في نظر العقول النافذة في دوائر القرار ، مادامت الآلة المخابراتية والعسكرية الأمريكية لم تتمكن من تحطيم قدرات القاعدة بالكلية!. فحملة أمريكا ضد القاعدة حرب "مخابراتية" بالدرجة الأولى. والأمر الوحيد الذي تأكدت أمريكا منه حاليا هو أنها تعرف جيدا أين تقع بغداد، وهذا ما سيعطي

بعد عام من هجمات 11 سبتمبر، تبدو مسألة الثقة بالأمن الداخلي بالنسبة لواشنطن واحدة من أبرز القضايا المطروحة على أجهزة الاستخبارات ... ما مدى عمق الاختراق المخابراتي الأمريكي للقاعدة؟ ما مستوى تأكد واشنطن من محاولتها لزعزعة استقرار التنظيم؟ ما مدى استيعاب وإحاطة مجموعات الاستخبارات بقدرات القاعدة الحالية ومخططاتها وتحركاتها؟. رغم تراكم "الجهود" المبذولة من قبل CIA، FBI، وكالة الأمن القومي ومجموعات استخبارات أخرى، فإن صورة القاعدة التي بحوزة واشنطن اليوم، قد لا تختلف من حيث الوضوح عن تلك المرتسمة في مخابرها التحليلية يوم 10 سبتمبر 2001.

ومن دون شك، فإن الاستخبارات الأمريكية فحصت بدقة طيلة الأشهر الأخيرة الهيكل القيادي والتنظيمي للقاعدة، من خلال استعمال معلومات مستقاة من أجهزة استخبارات أجنبية، اعتقال عدد من عناصر القاعدة، والتنصت على بعض الاتصالات لرسم خيوط الشكل النهائي لعدد من جوانب التنظيم!، وبقدر ما اتضحت بعض ملامح القاعدة، بقدر ما ازدادت إجمالي صورتها اضطرابا وضبابية!. وعليه، فإن واشنطن – وحسب المحللين الأمريكان- لا يمكنها بحال التأكد من أن حاجزها الدفاعي سيمنع أي ضربة أخرى ضد رموزها ومصالحها في عقر دارها!.

ولعل الإدارة الأمريكية واستنادا لهذا الرأي "شهَرت" بهدفها المحوري الثاني : تحطيم كلي لقدرات "العدو المحارب"، ورغم أنها مستمرة في تطوير "استراتيجيتها الدفاعية" – من خلال إنشاء مكتب الأمن الداخلي لتشديد الأمن على الرحلات والشحن الجوي-، فإنها غيرت أولوياتها باتجاه ضرب القاعدة ومواجهة تهديدات أخرى راهنة.

ومنذ نهاية الحرب الأهلية تمكنت الولايات المتحدة من إبعاد شبح الحرب عن أراضيها، وحتى الهجوم الياباني قس "بيرل هاربر" وقع على بعد 2400 ميلا من التراب الأمريكي!، وفي حربها ضد القاعدة، فإن ثمة إجراءات "ضخمة" في مجال الأمن الداخلي اتخذت بحكم تعرضها لهجمات في عقر دارها، إلا أن الولايات المتحدة استمرت في نهجها السابق عبر نقل المعارك إلى أراضي أخرى – أفغانستان- بعيدا عن الضفاف الأمريكية!.

ولم تقف عند حدود أفغانستان، وإنما شنت حربا على "امتدادات" القاعدة وشبكات الدعم عبر مختلف مناطق العالم، وزجت بقائمة طويلة من الدول : من اليمن إلى جورجيا إلى الفلبين في أتون تدريبات وتعاون عسكري مستنزف ومكلف!.ومع ذلك، لا زالت واشنطن في وضع لا يمكنها فيه الجزم من أن القاعدة لن تضرب أمريكا مرة أخرى (على فرض أنها وراء أحداث 11 سبتمبر)، وهو ما عزز في أوساط مسعري الحرب في إدارتها من فكرة أن الدفاع المضمون لا يفصل عن الهجوم الكاسح والحيوي!.

وكان لهم ذلك من خلال الحملة على أفعانستان والإطاحة بطالبان ومطاردة القاعدة، لكن ماذا بعد أفغانستان؟ والحرب طويلة الأمد وجبهات الصراع وميادين الهجوم مفتوحة تنتظر أوانها!، هيأ الرئيس بوش الأرضية القادمة بعد ثلاثة أشهر من الحرب ضد أفغامستان في خطاب له شهير حول "محور الشر"، وقبلها وبعد شهر واحد فقط من الحملة صرح "زعيم الحمائم" وزير الخارجية باول بأن واشنطن ستتجه صوب أسلحة الدمار الشامل العراقية بعد أفغانستان! في حين ظل الشغل الشاغل والهاجس الحقيقي بالنسبة لأجهزة المخابرات الأمريكية، يتركز حول حجم الإنجاز الذي حققته خلال الأشهر الماضية، ومدى فعاليته، وماذا يعني أو ما هي تبعاته في المستقبل؟. وكما ذُكر آنفا، فإن أحد أبرز جوانب الحرب ضد "الإرهاب" هو تفادي هجوم آخر على التراب الأمريكي (أو هكذا توهم الإدارة الأمريكية غيرها)، فهل تمكنت الاستخبارات من نقل التهديدات إلى خارج الأراضي الأمريكية وإبعاد شبح الضربات من ضفاف الولايات المتحدة، خاصة وأن أبرز وقود الحرب الحالية هو العنصر المخابراتي؟، ولا يمكن الجزم بهذا في نظر العقول النافذة في دوائر القرار ، مادامت الآلة المخابراتية والعسكرية الأمريكية لم تتمكن من تحطيم قدرات القاعدة بالكلية!. فحملة أمريكا ضد القاعدة حرب "مخابراتية" بالدرجة الأولى. والأمر الوحيد الذي تأكدت أمريكا منه حاليا هو أنها تعرف جيدا أين تقع بغداد، وهذا ما سيعطي حيوية لقواها الدافعة ورغبتها في إدارة الصراع بعيدا عن أراضيها!